علمية اصطلاحات اللغة العربية

أ. محمد طبي

استشاري ترجمة مصطلحات

لا أحد ينكر أن فضل العرب في التعايش مع العلم كان منذ بداية تعرف البشرية على هذا النمط من المعرفة.

ولو أن العلم بدأت نشأته تدريجيا، ضمن سياق المكابدة المستمرة للإنسان، في البحث عن تحسين أفضل، لحياته المعيشية. فإنه لم يكتمل مفهوم العلم؛ كميدان دقيق مختص، بمجال من مجالات الحياة الضرورية، إلا غداة اكتمال رسوخه في الأذهان، والتأكد من ضرورة الاستفادة من تخصيص هذا المفهوم الجديد، لينطبق تخصصا، فيما بعد على مفهوم ما يعرف اليوم، بميدان العلم.

وهكذا، فإن انتشار هذه الخبرة البشرية، من مكتشفات وتجارب مادية وروحية وتعميمها، وهو ما يتيحه العلم وتنظيم العقل، ثم إخصابها من جديد في

كل ثقافة أخرى، تتلقفها وتكون على مستوى من التطور، تمكنها من استيعابها ودمجها بخبرتها الذاتية، هو ما نسميه بالصيرورة الحضارية"[1].

وهكذا فإن بوادر العلم التي ظهرت عند العرب، الذين كانوا ساقين إليها، لم يعملوا على تطويرها بالكيفية الإيجابية، حيث توقف العلم لديهم، عند عمليات بوادر الاختراع والاكتشاف... "لقد ترك العلماء مثل أبي علي الحسن ابن الهيثم والبيروني وابن يونس والكندي والخازني... منهجهم العلمي، المستند إلى التجربة والملاحظة والاستقراء والقياس، ثم صياغة القوانين أو البحث في صحتها والتحقق منها، وكانت تجربتهم خلافا لليونانيين، الذين كانوا يلجؤون إلى الفلسفة المجددة.

كان العلماء العرب والمسلمون يستندون إلى الأسس العلمية، التجريبية، وبذلك فهم أول من ابتدع طريقة البحث العلمي، القائم على التجربة". [2]

والعلم لم يكتمل تحديد مفهومه دفعة واحدة، بل كان على امتداد مرور القرون.

لقد ابتدع القدامى العلم وتعاملوا معه، وثبتوا أمام تيارات الحضارة اليونانية، الفارسية والهندية...فأخذوا وأعطوا، وعربوا وترجموا وألفوا، وتطاوعت معهم العربية. كانت لهم جامعات بغداد، فاس، قرطبة، تونس، القاهرة ودمشق... وما كانت تصدهم نائبة عن المضي قدما في البحث...إلى عهد الانحطاط، حيث أصبنا، بالاتكالية والخمول العقلي، وتتالي الانهزامات، والقصور الفكري، والتي سادت طوال السيطرة العثمانية، وما قبلها وما بعدها أيضا.

هكذا دب فينا العجز، وكمن فينا كأشخاص، لعدم قدرتنا على تطوير مناهج علم ما تركه لنا أولونا، أو حتى مجاراة ما أخذ الآخرون عنا من علم. كانت العربية، أهلا، لأن تكون لغة العلم والحضارة الإنسانية في العصور الوسطى، فعن طريقها تعرف العالم الغربي، علوم الفلسفة والطب والفلك والرياضيات والكيمياء... وغيرها. إلا أن هذا غير ذاك، فلقد فقدت أمتنا مكانتها العالمية وتأثيرها في تقرير مصير البشرية، وأنها بدأت تدخل في فلك حضارة جديدة، لا تملك أية وسيلة للسيطرة عليها، وهي تستقي قيمها من ثقافة أخرى لا صلة لها بها" [3] إلا أنه مع بداية عهد النهضة العربية، الحديثة، أوائل القرن التاسع عشر، انبعث العرب من جديد إلى الاهتمام بالعلوم وبالحضارة الحديثة عن طريق التعليم. "وتشكل الحضارة الغربية، والسيطرة الغربية اليوم أيضا، تحديا مستمدا وشاملا لكل الشعوب الأخرى، علميا وعسكريا وسياسيا وتقنيا وصناعيا وروحيا معا"[4].

هذا عصر جديد نعيشه اليوم، بعد أن أصبحت العصور الحديثة الأخرى قديمة، وهكذا دواليك، فالجديد يصبح قديما بمرور الزمن. ولكل عصر ميزته العلمية"، إذ يتسم العصر ما بعد الصناعي، عصر الثورة العلمية التكنولوجية بسمة بارزة، هي أن التقدم العلمي، أصبح أسرع من التكنولوجي، أي أن التطبيقي سرعة العلم، وسرعة تطبيقه أصبحت قوة إنتاجية مباشرة. والثورة العلمية التكنولوجية، إذن، لا تنبثق من اختراع الآلات وإنما من العلم."[5]

هكذا كنا أصحاب علم، ولكن بدون تطبيق، فلم تدخل العلوم، مخابرنا بالقدر الموازي لكمية علمنا، ولم نبن المخابر أيضا، بالقدر المضاهي لعلمنا ذاك، لقد تغير ذاك الزمن الذي كنا فيه منتجي علم، أما اليوم فإننا مستهلكو علم، هذا العلم الذي نستورده بمخابرهن أداءاته، تطبيقاته وحتى لغة تسمياته ومفهومه. والذي يعنينا في هاته المعالجة، هو هاته التسميات، المعروف أن المفهوم عندما يكتمل ينشأ له اسم يعرف به، عن طريق اللغة، حسب الاستدلالات اللغوية، ويتعارف عليه الاصطلاحيون بالاصطلاح. هاته الاصطلاحات التي تنكب على الاهتمام بوضعها هيئات وخبراء، منذ عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي (718-786) الذي أنتج أول معجم مصطلحات، حتى أحمد الشرقاوي، الذي حصر عددها في مائتي (200) عنوان معجم مصطلحات، ولازال دائبا في جرده لهاته المعاجم. لكن الذي يمكن الإشارة إليه، أن كل هاته الكمية المعجمية، أحادية اللغة، لأنها تعبر عن إنتاجنا العلمي الأحادي فقط.

أما اليوم فأمر الاصطلاحات غير ذلك، لأنها تردنا بلغات غير لغتنا، فالعقل يقتضي في وضع مقابلاتها بالعربية، الاسترشاد بالقنوات المعروفة في المعالجة المعجماتية.

وما دامت اللغة العربية، لغة أهل علم سابق، فإنه لا مجال في الشك في عدم طواعيتها لصياغة الاصطلاحات العلمية.

لا غرو أن الاصطلاحات العلمية، تتنامى أكثر، لو كانت لغة التدريس بالعربية، لكن في نفس الوقت فإن "مؤيدي تعريب العلوم لا ينكرون أن ما لدينا من مصطلحات ومن كتب ودوريات ومراجع العربية بمجملها، تشكو من نقص في نتاج الفكر العالمي، لا في العلوم فقط، بل في شتى مجالات الثقافة. لكنهم يتساءلون، أليس تقاعسنا عن عملية التعريب ومواكبة التطور العالمي المستمر، وإنماء لغتنا بالترجمة والتأليف، أليس هذا التقاعس هو المسؤول عن هذا النقص؟ "[6].

إن الاصطلاحات ليست مجموعة من الكلمات منظومة في معاجم تخصصية، لتجعل منها لغة تخصص محايدة، بل هي لغة تخصص، لها علاقة باللغة المشتركة، العامة. إن طبقة هاته اللغة التي تظهر في الاصطلاحات المستمدة من البحوث العلمية المتخصصة، وفي مواقع العمل لدى المتعاملين بعمليات الإنتاج التقني والبحث العلمي، وما يتطلبه هذا من اصطلاحات، متكاملة مع ضرورة للتعبير عن سياقات الإنتاج والتوزيع والماركيتنج... وهذا دليل من مجموعة أدلة على العلاقة القائمة والمترابطة بين اللغة الخاصة والعامة. والمصطلحات العلمية قد تصنف إلى صنفين:

أ. صنف يتعرض بالذكر للمفاهيم وللظواهر ذات العلاقة بالطبيعة. وغالبا الحاجات الغير ملموسة، ومختلف الأداءات (Préstation)، التي يؤديها العامل في تعاملاته الصناعية، وبصورة أوضح، تخصيص بعض الألفاظ، وترقيتها من المعنى اللغوي العام إلى المعنى اللغوي الخاص.

ب. صنف يتعرض بالذكر إلى المكونات وللأشياء التي يتعامل معها الباحث أثناء نشاطاته العلمية والفكرية، والتي يمكن تعريفها بالاصطلاحات العلمية.

نحن نعيش صدمات الحداثة، وما يتطلبه ذلك من أفكار وتعابير ومفاهيم في صناعة المعرفة. هو زمن أصبح فيه العلم سلعة معروضة للبيع والشراء، تزدهر فيه الاختراعات، وتحتل فيه المكانة الأولى، وتنتقل فيه عبر السواق بمختلف القارات، بنفس مفاهيمها، وبنفس اختراعاتها، ولكن بغير لغة مواطن اختراعها، وعلى كل وطن وضع المقابلات للغة مواطن الاختراع والإنتاج بلغته المحلية، ويتأتى ذلك بإنتاج مصطلحات عملية، تتماشى والتعريف بالعلم الجديد المنتج. وهكذا يتم وضع المصطلحات العلمية، للتعبير عن منتوج علمي أو تقني جديد، يكتب له النجاح بالتعريف به، بوضع اصطلاح له.

إن الاصطلاحات العلمية والتقنية، يكتب لها النجاح الأفضل، متى اقترنت بالمنتجات العلمية، وبهاته الكيفية، فهي تفيد وتستفيد، تفيد في التعريف بمنتوج جديد والترويج له، بالتطابق معه لغة، وتحمل مواصفات اسمه، وتستفيد أيضا على اعتبار أنها تنطلق عن طريق المنتوج لتعرفها الألسن وتستعملها... "وعلى الرغم أن الحضارة العربية الإسلامية قد أفرزت كماً هائلاً من المصطلحات الحضارية والعلمية فإننا لا نجد في تراثنا كثيرا من الأعمال المصطلحية التي تتناول كيفية تحديد مفاهيم المصطلحات المتداولة، أو كيفية وضع المصطلحات التي تعبر عن المفاهيم الجديدة "[7].

إن العربية في الحقيقة، لا تنقصها خصائص اللغة العلمية، ولا مقوماتها. ولذلك فقد وضعت معاجمها الأولى بلغتها الأحادية، لقدرة سيطرتها على صقل المصطلحات والأداءات المعبرة عن منتجاتها العلمية والتقنية. ولم تكن هناك مدعاة لمعرفة لغات أجنبية.

أما اليوم؛ فإن إتقان لغة أجنبية، هو ضرورة للتعرف على منتجات بلدان تلك اللغات والحصول عليها، والترويج لها في أسواق استعمالاتنا، بمصطلحات لغتنا، وهذا لإبقاء التواصل الحضاري مع العالم ولكي لا نبقى مكتفين بمعاجمنا الأحادية اللغة، بل نضيف المعاجم الثنائية، والثلاثية... والخماسية اللغة، فاللغة مؤسسة بشرية لخدمة الفكر أيضا، ومجازة عبور أفكارنا من وإلى الآخرين.

بعض النماذج المعدة والمستخدمة، للمؤانسة في صقل اصطلاحات علمية وتقنية جديدة.

1- يمكن الاشتقاق من بعض الأفعال، حسب القياس الصرفي

الفعل	الوزن	النتيجة	الملاحظة
كسح	فُعال	كُساح	يصاغ من الفعل اللازم المفتوح العين ما تدلّ مصطلحاته على المرض
زكم	فُعال	زُكام	
سعل	فُعال	سعال	
برد	مِفعل	مبرد	يصاغ على وزن مفعل، مفعلة، مفعال للدلالة على الآلة المعالجة
ثقب	مِفعال	مثقاب	
كسر	فعّالة	كسارة	

كنس	مفْعله	مكنسة	

2- مقابلات بعض السوابق (Préfixes)

Préfixe	Sens en français	Sens en arabe	Exemples
ANTI .. MULTI HEMI	Contre Demi nombreux	ضد .. مضاد نصف تعدد	مقاوم الأحماض Anti- acide نصف الكرة الأرضية Hémisphériqueمتعدد اللغات Multiculturel

3- مقابلات بعض اللواحق (Suffixes)

Suffixe	Sens en français	Sens en arabe	Exemples
… AISON …ION…TION …EUR	Action Action Agent	عمل تحقيق – عمل فاعل- صانع	تسليم Livraison زيادة Augmentation مؤشر Indicateur

4- نموذج في إبداع بعض الاصطلاحات:

المنتوج	التعريف	المصطلح المبدع
Bâtiment Avicole	**مبنى من النمط المغلق، يمتاز بتهوئة نشطة طولية، يحصل عليها**	

	بأجهزة هواء ضخمة. يخصص لتربية أنواع الدجاج عن طريق الأقفاص المختلفة الطوابق	مبنى حاضنات الدواجن
Panneaux isothermes	صفيحتان من الصلب المجلفن: إحداهما مسطحة وثانيتهما مضلعة. بينهما رغوة "البلوريتان" الصلبة، المتحصل عليها بالنفخ. يمتاز هذا المنتوج بطريقته الحديثة في عزل الحرارة. يستعمل في ميادين مختلفة في البناء. من فوائده: الصلابة ومقاومة النيران	ألواح العزل الحراري

5- ترقية بعض المفردات، من المعنى اللغوي العام، إلى المعنى اللغوي الخاص، (الاصطلاحات)

poche	وعاء يشبه البرميل، على شاكلة عربة قاطرة، يتحرك على سكة حديدية، يحمل الحديد الزهر (Fonte)، المسكوب من الفرن العالي إلى المحمول (Convertisseur) تستعمل في مصانع الفولاذ.	بوتقة/بواتق

الهوامش:

[1]. برهان غليون، اغتيال العقل، ص128، موفم، الجزائر، 1990.
[2]. عمر فروج، عبقرية العرب، ص 882، دار المعارف، مصر، 1993.
[3]. برهان غليون اغتيال العقل، ص128، موفم، الجزائر، 1990.
[4]. المرجع السابق، ص 136.
[5]. المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال الموسم الثقافي (موضوع التطورات العلمية التكنولوجية للدكتور عبد الكاظم العبودي)، ص188، الجزائر، 2000.
[6]. أحمد شفيق الخطيب، تعريب العلوم القضية، ص 25، دار المعاجم، مكتبة لبنان، بدون تاريخ.
[7]. علي القاسمي، مجلة اللسان العربي عدد 49، ص55، مكتب تنسيق التعريب، الرباط، 2000.